الحَدِيثُ العَاشِرُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ؛ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ][1].

قَوْلُهُ: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»، فِي هَذَا الحَدِيثِ وَصَفُ الله ـ جَلَّ وَعَلَا ـ بِأَنَّهُ طَيِّبٌ، فَهُوَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ طَيِّبٌ بِمَعْنَى أَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ النَّقَائِصِ وَالعُيُوبِ، فَهُوَ طَيِّبٌ فِي ذَاتِهِ، وَفِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَفِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، فَهُوَ طَيِّبٌ مِنْ كُلِّ الوُجُوهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ نَقْصٌ؛ وَلِذَلِكَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ وَالمَقَاصِدِ إِلَّا مَا كَانَ طَيِّبًا، فَلَا يَقْبَلُ الخَبِيثَ مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ وَالمَقَاصِدِ، فَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠]، فَهُوَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الكَلَامَ الطَّيِّبَ وَالعَمَلَ الطَّيِّبَ، وَلَا يَقْبَلُ مِنَ الصَّدَقَاتِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، أَمَّا الخَبِيثُ فَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُه سَوَاءً كَانَ خَبِيثًا بِمَعْنَى الرَّدِيءِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٧]، أَوْ كَانَ خَبِيثًا فِي

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

ذَاتِهِ؛ كَالمَيْتَةِ وَالخَمْرِ وَالخِنْزِيرِ، أَوْ خَبِيثًا فِي مَكْسَبِهِ كَالرِّبَا وَالرِّشْوَةِ وَالقُمَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَالخَبِيثُ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ خَبِيثًا فِي ذَاتِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ خَبِيثًا فِي مَكْسَبِهِ وَطَرِيقِ الحُصُولِ عَلَيْهِ، فَمَهْمَا تَصَدَّقَ الإِنْسَانُ مِنْ كَسْبٍ خَبِيثٍ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُهُ، وَكَذَلِكَ لَا يَقْبَلُ العَمَلَ إِلَّا إِذَا كَانَ طَيِّبًا، بِمَعْنَى أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِوَجْهِ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ فِيهِ شِرْكٌ وَلَا رِيَاءٌ، وَيَكُونَ صَوَابًا عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ، لَيْسَ فِيهِ بِدْعَةٌ، وَلَا خُرَافَةٌ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى وَفْقِ السُّنَّةِ، فَهَذَا هُوَ العَمَلُ الطَّيِّبُ الذِي يَتَقَبَّلُهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. كَذَلِكَ القَوْلُ الطَّيِّبُ مِنْ ذِكْرِ اللَّـهِ، كَالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ، وَكَذَلِكَ الطَّيِّبُ مِنَ الأَمْرِ بِالمعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المنْكَرِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّـهِ، وَالنَّصِيحَةِ، كُلُّ هَذَا مِنَ الكَلِمِ الطَّيِّبِ الذِي يَتَقَبَّلُهُ اللهُ وَيَرْفَعُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠].

أَمَّا القَوْلُ الخَبِيثُ فَإِنَّ اللهَ يَرُدُّهُ وَيَبْغَضُهُ، مِنَ الكَذِبِ وَالغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالشَّتْمِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَشَهَادَةِ الزُّورِ، وَجَمِيعِ الأَقْوَالِ الخَبِيثَةِ، وَالشِّرْكِ، وَالكُفْرِ، كُلُّهَا أَقْوَالٌ خَبِيثَةٌ، لَا تَرْتَفِعُ إِلَى اللَّـهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَلَا تُقْبَلُ.

قَوْلُهُ: «**لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا**» الطَّيِّبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، يَخْرُجُ بِذَلِكَ مَا كَانَ خَبِيثًا، فَإِنَّ اللهَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ يَرُدُّهُ وَلَا يَقْبَلُهُ.

ثُمَّ قَالَ: «**وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ**» فَدَلَّ عَلَى أَنَّ المرْسَلِينَ والمؤْمِنِينَ مَأْمُورُونَ وَمَنْهِيُّونَ، لَا أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ أَوْ يَقُولُونَ شَيْئًا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ، أَوْ مِنْ مُسْتَحْسَنَاتِ عُقُولِهِمْ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، وَيَتْرُكُونَ مَا نُهُوا عَنْهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ﴾ [الحَشْر: ٧]، فَهُمْ مَأْمُورُونَ وَمَنْهِيُّونَ مِنْ قِبَلِ اللَّـهِ جَلَّ

وَعَلَا؛ لِأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ عِبَادُهُ، فَلَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ بَيْنَ يَدِي اللَّـهِ وَرَسُولِهِ بِقَوْلٍ أَوْ بِفِعْلٍ، وَإِنَّمَا يَتَّبِعُونَ الأَوَامِرَ فَلَا يَفْعَلُونَ إِلَّا مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَلَا يَتْرُكُونَ إِلَّا مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُمْ عِبَادٌ، وَالرُّسُلُ عِبَادٌ، وَالملَائِكَةُ عِبَادٌ، وَلَوْ كَانُوا بِمَنْزِلَةٍ عَظِيمَةٍ وَجَلَالَةِ قَدْرٍ، لَكِنَّهُمْ عِبَادٌ يَتَّبِعُونَ أَوَامِرَ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَالَ: «**أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ**»، ثُمَّ ذَكَرَ الشَّاهِدَ وَالدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ، فَاللهُ أَمَرَ المرْسَلِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا**﴾، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ**﴾ أَيْ مِنَ الحَلَالِ، الطَّيِّبُ: هُوَ الحَلَالُ، وَالخَبِيثُ هُوَ الحَرَامُ، وَاللهُ أَمَرَ بِالأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَيْ مِنْ المُبَاحَاتِ، وَنَهَى عَنْ الأَكْلِ مِنَ الحَرَامِ وَالخَبَائِثِ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى أَكْلِ الحَلَالِ قَالَ: ﴿**وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا**﴾، فَأَكْلُ الحَلَالِ يُعِينُ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ، وَيجْعَلُ العَمَلَ الصَّالِحَ مُتَقَبَّلاً، وَأَمَّا أَكْلُ الحَرَامِ فَإِنَّهُ يُثَبِّطُ وَيُكَسِّلُ عَنِ العَمَلِ الصَّالِحِ، وَيخُذِّلُ الإِنْسَانَ.

وَلِذَلِكَ تَجِدُ الذِينَ يَأْكُلُونَ الحَرَامَ وَيَكْتَسِبُونَ الحَرَامَ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنْ الطَّاعَاتِ وَعَنِ العِبَادَاتِ، وَأَكْسَلِ النَّاسِ عَنِ الصَّلَوَاتِ؛ لِأَنَّ الحَرَامَ ثَقُلَ فِي بُطُونِهِمِ وَقُلُوبِهِمْ فَكَسَّلَهُمْ عَنِ الطَّاعَةِ، بِخِلَافِ الذِي يَتَغَذَّى بِالحَلَالِ، وَيَتَحَرَّى الحَلَالَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُعِينُهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّـهِ، وَيُلِينُ قَلْبَهُ وَيُرَقِّقُهُ(١).

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (ص١٠٢)، والمجموع للنووي (٦/ ٢٣٤)، والفروع لابن مفلح (٦/ ٣٩٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي بِمَاتَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وَفِي هَذَا تحْذِيرٌ لِلإِنْسَانِ أَنْ يُخِلَّ بِعَمَلِهِ، أَوْ يَتَظَاهَرَ بِالعَمَلِ وَالإِخْلَاصِ وَبَاطِنُهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِيمٌ، بِمَا هُوَ عَلَيْهِ، لَا يُرَوَّجُ عَلَيْهِ البَهْرَجُ وَالكَذِبُ، وَلَا يَنْطَلِي عَلَيْهِ الظَّاهِرُ مَعَ خُبْثِ البَاطِنِ، إِنَّمَا هَذَا فِي حَقِّ النَّاسِ الذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا الظَّاهِرَ، أَمَّا البَاطِنُ فَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي بِمَاتَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ يَتَضَمَّنُ شَيْئَينِ:

الأَوَّلُ: أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يخْشَى أَنْ يَضِيعَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ العَمَلِ، وَلَا أَنَّ اللهَ يَنْسَاهُ أَوْ يَتْرُكُهُ، فَجَمِيعُ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ يَعْلَمُهَا اللهُ تَعَالَى وَيحْصِيهَا وَيَكْتُبُهَا لِصَاحِبِهَا، سَوَاءً كَانَتْ حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً.

الثَّانِي: أَنَّ اللهَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ لَا يَنْخَدِعُ بِالظَّوَاهِرِ البَاطِلَةِ والزُّخْرُفِ وَالتَّزْوِيرِ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُ الحَقَائِقَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ المُؤْمِنِينَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ بِالأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَهِيَ المُبَاحَاتُ: الطَّيِّبُ فِي ذَاتِهِ وَالطَّيِّبُ فِي مَكْسَبِهِ وَالحُصُولِ عَلَيْهِ، فَقَوْلُهُ: ﴿كُلُواْ﴾ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِإِبَاحَةِ الطَّيِّبَاتِ لَنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فَقَوْلُهُ: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ يَتَضَمَّنُ النَّهْيَ عَنْ أَكْلِ الخَبَائِثِ.

فَهَذَا فِيهِ الرَّدُّ عَلَى الذِينَ يحُرِّمُونَ الطَّيِّبَاتِ بِزَعْمِهِمْ أَنَّ هَذَا مِنَ العِبَادَةِ وَيَظُنُّونَ أَنَّ فِي تَرْكِهَا أَجْرًا؛ كَالصُّوفِيَّةِ وَالمتزَهِّدَةِ، وَهَذَا مِنْ التَّكَلُّفِ؛ لِأَنَّ اللهَ أَمَرَ بِالأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَالمسْتَلَذَّاتِ، وَالطَّيِّبُ يَشْمَلُ الطَّيِّبَ الذِي هُوَ

غَيْرُ خَبِيثٍ، وَيَشْمَلُ الطَّيِّبَ الذِي هُوَ المسْتَلَذُّ مِنَ اللُّحُومِ وَالفَوَاكِهِ، وَأَنْواعِ المتْعَةِ الطَّيِّبَةِ مِنَ النِّسَاءِ وَالمَلَذَّاتِ المبَاحَةِ، فَالإِنْسَانُ يَتَنَاوَلُ مِنْهَا، وَلَا يحَرِمُ نَفْسَهُ لَكِنْ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ، فَالذِي يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِتَرْكِ المبَاحَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ هَذَا مُتَنَطِّعٌ، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ مِمَّا يَسَّرَ اللهُ لَهُ، يَأْكُلُ اللَّحْمَ، وَالفَاكِهَةَ، وَكَانَ ﷺ يَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَيَتَطَيَّبُ بِالطَّيِّبِ، وَيَسْتَعْمِلُ الطَّيِّبَاتِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلامُ.

قَالَ: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ كَمَا قَالَ لِلرُّسُلِ، حَيْثُ أَمَرَهُمْ بِأَمْرَيْنِ: الأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لِأَنَّ أَكْلَ الطَّيِّبَاتِ يُعِينُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، حَيْثُ يَتَغَذَّى البَدَنُ تَغْذِيَةً طَيِّبَةً وَيَنْشَطُ. وَلَيْسَ المُرَادُ بِذَلِكَ أَنْ يُعْطِيَ الإِنْسَانُ نَفْسَهُ كُلَّ مَا تَشْتَهِي وَيَتَكَاسَلَ عَنِ الطَّاعَةِ، هَذِهِ طَرِيقَةُ البَهَائِمِ، إِنَّمَا الإِنْسَانُ يَأْكُلُ وَيَشْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَوْلُهُ: ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ هَذَا مِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ضَرَبَ مَثَلاً لِلذِي يَأْكُلُ الحَرَامَ، وَيَدْعُو اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِي حَالَةٍ رَثَّةٍ، وَفِي حَالَةٍ تَقْتَضِي إِجَابَةَ دَعْوَتِهِ، فَعِنْدَهُ أَسْبَابٌ لِقَبُولِ الدُّعَاءِ، وَعِنْدَهُ مَانِعٌ مِنْ قَبُولِ الدُّعَاءِ، أَمَّا الأَسْبَابُ فَهِيَ:

الأَوَّلُ: «**يَمُدُّ يَدَيْهِ**» وَمَدُّ اليَدَيْنِ فِي الدُّعَاءِ مِنْ أَسْبَابِ الاسْتِجَابَةِ، «**يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ**» لِمَاذَا يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِشَارَةً إِلَى عُلُوِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّ اللهَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ فِي السَّمَاءِ، وَفِي هَذَا مَشْرُوعِيَّةُ رَفْعِ اليَدَيْنِ فِي الدُّعَاءِ، وَالأَصْلُ فِي الدُّعَاءِ رَفْعُ اليَدَيْنِ إِلَّا مَا دَلَّ الدَلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَا تُرْفَعُ فِيهِ الأَيْدِي، فَلَا تُرْفَع.

الثَّاني: يَقُولُ: «**يَا رَبِّ يَا رَبِّ**» يَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّـهِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَهَذَا مِنَ التَّوَسُّلِ المشْرُوعِ، فَالتَّوَسُّلُ إِلَى اللَّـهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ مِنْ أَسْبَابِ الإِجَابَةِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ «**أَشْعَثَ أَغْبَرَ**» فِي حَالَةِ رَثَّةٍ، لَيْسَ عِنْدَهُ كِبْرٌ، أَمَّا الإِنْسَانُ المسْتَكْبِرُ فَإِنَّ كِبْرَهُ يَمْنَعُ قَبُولَ دُعَائِهِ، فَهَذَا عِنْدَهُ سَبَبُ الإِجَابَةِ وَهُوَ أَنَّهُ مُتَواضِعٌ، وَأَيْضًا يُطِيلُ السَّفَرَ، وَالدُّعَاءُ مِنَ المُسَافِرِ مَظِنَّةُ الإِجَابَةِ؛ لِأَنَّهُ بِحَاجَةٍ، فَعِنْدَهُ أَسْبَابُ القَبُولِ، لَكِنَّ المَانِعَ الذِي مَنَعَهُ أَبْطَلَ عَمَلَ هَذِهِ الأَسْبَابِ، فَلَا يَكُونُ لهَا نَتِيجَةٌ.

قَالَ: «**وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**» يَعْنِي: يَبْعُدُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ؛ لِأَنَّ عِنْدَهُ هَذِهِ المَوَانِعِ، فَالدُّعَاءُ لَا يُقْبَلُ إِلَّا إِذَا تَوَفَّرَتْ أَسْبَابُ قَبُولِهِ، وَانْتَفَتْ مَوَانِعُ القَبُولِ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى التَّحْذِيرِ مِنَ الحَرَامِ، وَهُوَ مِنْ مَفْهُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ فَالحَرَامُ لَا يُؤْكَلُ، وَالخَبِيثُ لَا يُؤْكَلُ، وَاللهُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ أَحَلَّ لَنَا الطَّيِّبَاتِ وَحَرَّمَ عَلَيْنَا الخَبَائِثَ.

وَالإِنْسَانُ الذِي يَدْعُو اللهَ يَفْعَلُ أَسْبَابَ الإِجَابَةِ وَيَتَجَنَّبُ أَسْبَابَ مَنْعِ القَبُولِ، فَلَيْسَ المقْصُودُ أَنَّكَ تَدْعُو فَقَطْ، بَلْ لَابُدَّ مَعَ الدُّعَاءِ أَنْ تَعْمَلَ أَسْبَابَ الإِجَابَةِ، وَتَتَجَنَّبَ أَسْبَابَ الحِرْمَانِ، هَذَا هُوَ المقْصُودُ.

فَدَلَّ هَذَا الحَدِيثُ عَلَى فَوَائِدَ عَظِيمَةٍ:

الفَائِدَةُ الأُوْلَى: أَنَّ العِبَادَ كُلَّهُمْ مَأْمُورُونَ ـ الأَنْبِيَاءَ، وَالمَلَائِكَةَ، والرُّسُلَ، والمؤْمِنِينَ، وَكُلَّ الخَلْقِ ـ مَأْمُورُونَ وَمَنْهِيُّونَ، فَلَا أَحَدَ يُحْدِثُ

شَيْئًا فِي دِينِ اللَّـهِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ أَبَدًا، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ ذَلِكَ.

الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: فِي الحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى إِبَاحَةِ الطَّيِّبَاتِ، وَهِيَ المُبَاحَاتُ والمُسْتَلَذَّاتُ التِي أَبَاحَهَا اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ لِعِبَادِهِ، فَلَا يَأْتِ أَحَدٌ وَيَقُولَ: مِنَ العِبَادَةِ تَرْكُ المُبَاحَاتِ، وَحِرْمَانُ النَّفْسِ. نَقُولُ لَهُ: هَذَا لَيْسَ عِبَادَةً لِلَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَالمُسْتَلَذَّاتِ وَالفَوَاكِهِ وَاللُّحُومِ، وَكَانَ يَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَكَانَ يَنَامُ، وَكَانَ يَأْخُذُ مَا أَبَاحَهُ اللهُ لَهُ، وَيَتْرُكُ مَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ، وَهُوَ القُدْوَةُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فَفِيهِ الرَّدُّ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الزُّهْدَ هُوَ تَرْكُ الطَّيِّبَاتِ، بَلْ الزُّهْدُ هُوَ تَرْكُ الحَرَامِ، وَتَرْكُ فُضُولِ الأَشْيَاءِ التِي لَا يَحْتَاجُ الإِنْسَانُ إِلَيْهَا، أَمَّا الذِي يَحْتَاجُهُ الإِنْسَانُ فَهَذَا تَرْكُهُ لَيْسَ مِنَ الزُّهْدِ، وَلَيْسَ الزُّهْدُ حِرْمَانَ النَّفْسِ مِمَّا أَبَاحَ اللهُ لَهَا.

الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الدُّعَاءَ لَا يُقْبَلُ إِلَّا إِذَا تَوَفَّرَتْ فِي الدَّاعِي أَسْبَابُ الإِجَابَةِ، وانْتَفَتْ مَوَانِعُ الإِجَابَةِ.

الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الحَرَامَ يُفْسِدُ البَدَنَ؛ لِأَنَّهُ يُغَذِّي تَغْذِيَةً خَبِيثَةً، فَهُوَ يُفْسِدُ البَدَنَ مِنَ النَّاحِيَةِ المَعْنَوِيَّةِ، وَمِنَ النَّاحِيَةِ الحِسِّيَّةِ أَيْضًا، فَإِنَّ هَذِهِ المحرَّمَاتِ فِيهَا أَضْرَارٌ وَأَمْرَاضٌ جِسْمِيَّةٌ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مَا حَرَّمَهَا إِلَّا لِأَنَّ فِيهَا ضَرَرًا، انْظُرْ مَثَلاً إِلَى المَيْتَةِ، فَقَدْ حَرَّمَهَا تَعَالَى لِمَا فِيهَا مِنْ أَضْرَارٍ وَأَمْرَاضٍ، وَكَذَلِكَ الخَمْرُ وَالمُخَدِّرَاتُ وَالدُّخَانُ وَالقَاتُ، كُلُّهَا أَضْرَارٌ جِسْمِيَّةٌ، وَأَضْرَارٌ دِينِيَّةٌ، وَلَيْسَ لِلعِبَادِ فِيهَا مَصْلَحَةٌ البَتَّةَ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا اُضْطُرَّ الإِنْسَانُ ضَرُورَةً خَشِيَ الموْتَ فَلَهُ أَنهْ يَأْكُلَ مِنَ الميْتَةِ بِقَدْرِ مَا يُبْقِي عَلَيهِ حِيَاتَهُ، وَيَكُونُ فِي هَذِهِ الحَالَةِ رُخْصَةً مُبَاحَةً بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ،

وَفِي هَذِهِ الحَالَةِ ، إِذَا أَكَلَ مِنَ المِيْتَةِ لَا يَتَضَرَّرُ بِهَا، أَمَّا إِذَا أَكَلَ مِنْهَا فِي غَيْرِ الضَّرُورَةِ فَإِنَّهُ يَتَضَرَّرُ بِهَا، مَعْنَوِيًّا وَحِسِّيًّا.

فَالحَاصِلُ: أَنَّ هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ، وَمَنْهَجٌ يَسِيرُ عَلَيْهِ المُسْلِمُ فِي حَيَاتِهِ.

* * *